

الواقعية في العلاقات الدولية

(دراسة نظرية)

Realism in International Relations Theoretical Study

أ/ خليفى رايح

جامعة عمار ثليجي الأغواط

ملخص:

تمثل الواقعية أهم نظريات العلاقات الدولية خاصة وأن تحليلاتها لا تزال قائمة لغاية اليوم، أين ألفت الضوء على الظاهرة الدولية انطلاقاً من مبدأ ما هو كائن، أي دراسة الوضع القائم بعيداً عن بناء فكري قيمي أخلاقي كتفسير نظري لتطور الأحداث الدولية، لتعتبر بذلك مرحلة انعطاف فكري جديد لما سبق، فساهمت بواسطة دراسة وتحليل الأسباب والعوامل الكامنة وراء ذلك، أين اتخذت من الدولة وحدة تحليل لها، لفهم طبيعة التفاعلات الحاصلة داخل النظام الدولي، مستندة في ذلك على مفهومي المصلحة القومية والقوة كثنائية معيارية لمسار التفاعل الحاصل وكأهم متغيرين لإدارة العلاقات الدولية، مما قد يدفع بالدول للدخول في تحالفات تعزيزاً لبقاء ومصحتها القومية وزيادة في قوتها لفرض إرادتها.

Abstract :

Realism is considered one of the most in the field of important theories internatinal relation since its analyses are still evident and reliable nowadays. Realism highlights the international phenomenon considering what (is in reality) : studies the different situations, situating itself well far from ethical contruction to give clarifications to the development of international that's it is considered a turning point in modern theory. It looks at the State as a unit in order to understand the interactions within the international system, emphasizing the national interest and power as a binary and also as two important variables to manage the international relations. In doing so, nations are constantly urged to take part in alliances so as to maintain their interest and increase their power.

خطوات الدراسة:

- مدخل عام.
- الأسس الفكرية.

- مسلمات التحليل الواقعي.
- مبادئ الواقعية السياسية.
- العوامل الموضوعية للواقعية السياسية.

مدخل عام:

حملت الواقعية كمنظية تلك القواعد والمبادئ الفلسفية التي ساهمت في تحليل الظاهرة الدولية وبناء تصورات لمسار النظام الدولي بعد الحرب العالمية الثانية، لتعتبر بذلك انعطاف فكري جديد في تفسير وتحديد العلاقات الدولية، كرد على الطرح المثالي لعدم مجارات نقاشاته للأحداث الحاصلة آنذاك، أين اعتمد على مقارنة قيمية قائمة على الأخلاق والقانون والتنظيم الدوليين والطبيعة البشرية الحيرة.

جاء هذا الفكر من قبل النخبة السياسية أولاً كتبرير للتوجهات الجديدة للولايات المتحدة الأمريكية للخروج من سياسة العزلة القارية التي شهدتها في الفترة السابقة إلى ما يعرف بالانفتاح على العالم برئاسة هاري ترومان Harry S. Truman، حيث بدأ سياسة خارجية عالمية بالتعاون بين الولايات المتحدة مع حلفائها الأوربيين وقام بإنشاء الناتو NATO، القائمة على أساس المصلحة القومية و تعزيز مبدأ القوة في إدارة العلاقات الدولية وبناء عالم يسوده الأمن والاستقرار؛ وهنا أثبتت النظرية المثالية عدم ملاءمتها مع الواقع الدولي الجديد، أين تأكد فشل أطروحاتها بقيام الحرب العالمية الثانية؛ ولم تفلح دعوتها للأخلاق والقيم ولا الإشادة بالصفة البشرية الحيرة أن تحول دون حدوث ذلك الدمار، كما لم يستطع القانون والتنظيم الدوليين أن يحفظا للعالم ذلك السلم والأمن. وثانياً كتبرير سياسي وإيديولوجي لفكرة الهيمنة والسيطرة الذي صيغ بأهداف علمية وأكاديمية.

كل هذا أدى إلى تلاشي النظرة المثالية آنذاك وبروز طرح جديد يدرس ظاهرة العلاقات الدولية على أساس (ما هو كائن لا على ما يجب أن يكون).

1. الأسس الفكرية: The Bases of the Idea

إن للفكر الواقعي أسس ومصطلحات وكذلك مفاهيم يعود الفضل فيها إلى أمثال هانس مورغانثو Hans Morgenthau وكتابه السياسة بين الأمم سنة 1948 Politics among nations الذي بلور فيه مجمل أفكاره، خاصة تأكيده بأن تفسير ما يحدث لمجريات العلاقات الدولية هو: (صراع من أجل السلطان والسلام¹). وبالرغم من أن ظهور الطرح الواقعي ليس ببعيد إلا أن جذوره الفكرية والفلسفية قديمة تمتد إلى فترات زمنية سابقة:

¹- أ.د. عمار بن سلطان، مدخل نظرية لتحليل العلاقات الدولية، الجزائر، طاكسيج. كوم، 2009، ص 181.

بدأت بقصة ثوسيديد Thucydide (400/471 ق م) الذي يروي النقاش - الحاد - بين أثينيين أقوياء وممثلين عن جزيرة ميلوس Milos - جزيرة يونانية صغيرة - أثناء الحروب البيلوبونيسية
The Peloponian Wars ، حيث بيّن هذا السرد أهمية القوة أين يمكن اعتباره أحد النصوص المؤسسة والمهمة والملخصة للفكر الواقعي¹

وتجدر الإشارة إلى الكاتب الهندي كوتيليا Kautilya (296/312 ق م) الذي أعطى مفاهيم حول السلوك الدولي؛ إذ حملت أفكاره عن كيفية البحث لإيجاد الطرق والوسائل الكفيلة لتقوية الدولة داخليا وخارجيا سواء بالسعي نحو توسيع أراضيها أو العمل على تدمير خصومها، أو أنها تلجأ لإقامة تحالفات مع غيرها التي تنصب كلها في دعوة التي رفعها من أجل تقوية الدولة بشكل يجعلها تتقوى على غيرها وجعل المصلحة فوق كل شيء (ثنائية القوة والمصلحة القومية).

أما في العصر في الحديث نجد أن نيقولا ماكيافيلي Niccolò Di Bernardo Dei Machiavelli (1527/1489) الذي وضع أمن الدولة في قلب اهتماماته² وعلى أساسه بلور مجموعة من الأفكار في كتابه الأمير The Prince تتعلق بالسياسة والحكم والدولة، فأرجع أمور تسييرها إلى الطبيعة الشريرة للإنسان، وعلى الحاكم أن يتبنى في إدارة شؤون إمارته مقاييس غير أخلاقية.

توماس هوبز Hobbes Thomas في كتابه الطاغوت الذي طوّر فكرة (الدولة الطبيعية) وهي حرب الكل ضد الكل³. كما يرى أن القوة عامل حاسم في السلوك الإنساني⁴؛ فالإنسان بذلك يسعى دون هوادة نحو امتلاك المزيد من القوة، ولا يتوقف عن هذا السعي إلا عند موته.

ونشير في الأخير وعلى اعتبار أن القوة دافع غريزي كامن في الطبيعة الإنسانية فكل هؤلاء المفكرين يجمعون على أهمية متغير القوة لإدارة العلاقات الدولية، وان كانوا يختلفون في طريقة توظيفه⁵.

2. مسلمات التحليل الواقعي: Real analysis

- تعتبر الدول أهم الفواعل في السياسة الدولية، و عليه فإن التركيز عليها كوحدة التحليل يساعد على فهم طبيعة التفاعلات الحاصلة داخل النظام الدولي، وليس على غيرها من الفواعل التي ظهرت فيما بعد.

² Amélie blom, Frédéric Charillon, **théories et concepts des relations internationales**, hachette superior, 2001, p13.

² - Ibid, p 13.

⁴ Ibid, p 13.

⁴ - أ.د. عمار بن سلطان، المرجع السابق، ص 181.
⁵ - خلف الله عمر، **التحديات البيئية وفعالية الاستجابات السياسية في إفريقيا**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية تخصص: دراسات إفريقية، جامعة الجزائر 3 كلية العلوم السياسية والإعلام قسم العلوم السياسية و العلاقات الدولية ص 14.

- يشير باروخ سبينوزا Baruch Spinoza إلى أن رجال الدولة هم من ساعدوا في فهم وشرح السياسة أكثر مما ساهم به رجال النظرية، نتيجة لاهتمامهم بالأمر العملية وبالممارسة.¹
- لا يمكن تحديد وربط السياسة بالأخلاق، وبالتالي تحرير العمل السياسي من المبادئ الأخلاقية التي تعمل على عرفلته.
- يشكك الواقعيون على العموم أهمية الأخلاق للسياسة الدولية. وهذا يمكن أن يقودهم إلى الادعاء بأنه لا مكان لها للأخلاق في العلاقات الدولية، وأن هناك توترا بين مطالب الأخلاق ومتطلبات العمل السياسي الناجح، أو أن الدول لها أخلاقها الخاصة التي تختلف عن الأخلاق العرفية، وإن وجدت فعلاً لا تستخدم إلا من أجل تبرير سلوك الدول.²
- السياسة هي نتاج تحليل وفهم التاريخ والواقع والتعرف على الظواهر التي لها خاصية الاستمرار (كالجرب والسلام) مثل: لا تقبل فكرة السلام الدائم كما لا تقبل فكرة التناسق في المصالح.
- حيث يرى مورغانثو Hans Morgenthau أن فكرة المصالح لا تفترض وجود عالم مسالم، كما لا تفترض حتمية الجرب، لكنها تقوم على افتراض وجود صراع مستمر، وتهديد بالجرب.³
- وبالاعتماد على التاريخ كمخبر كما جاء في الطرح الواقعي اعتبار أن هذه الأمور غير موجودة في التاريخ البشري، ولإثبات صحة أو خطأ الفكرة يستوجب الرجوع إلى التاريخ الذي عن طريقه تعمم الظاهرة المراد دراستها.
- أن الطبيعة البشرية مفطورة على الشر وليس على حب الخير والفضيلة، وأن ميلهم لامتلاك القوة تستند للخطيئة القائمة على العنف مستدلين بخطيئة آدم وعمموها على البشر.
- ونشير إلى أحد أقطاب الفكر الواقعي وهو قسيس إذ يقول: (أن الإنسان ملطخ بالخطيئة الأولى، فلهذا هو مهياً للشر)⁴
- المصلحة هي جوهر العلاقات الدولية نتيجة لغياب سلطة عليا تفرض احترام القانون الدولي مما يؤدي إلى القول بأن الفوضى تعم النظام الدولي.
- فكما يقول فريدريك شومان Frederick Schumann ، أحد دعاة المنهاج الواقعي في تحليل العلاقات الدولية، أن النظام الدولي يتكون في صميمه من دول مستقلة ذات سيادة لا تعترف بوجود سلطة أعلى منها، وهي

¹- د. نصيف يوسف حتى، النظرية في العلاقات الدولية، بيروت، دار الكتاب العربي، 1985، ص24

² W. Julian Korab-Karpowicz , Political Realism in International Relations, First published Mon Jul 26, 2010; substantive revision Tue Apr 2, 2013

<https://plato.stanford.edu/entries/realism-intl-relations/#ThuImpPow>, 8:50 2017/05/08

³- أ.د إسماعيل صبري مقلد، نظريات السياسة الدولية، "دراسة تحليلية مقارنة"، ط01، الكويت، دار ذات السلاسل، 1987، ص 52.

⁴- أ.د عمار بن سلطان، المرجع السابق، ص 180.

تعمل على تأمين مصالحها القومية بوسيلتي القتال والتفاوض، ويأتي هدف الحفاظ على الذات self-Preservation كهدف نهائي وأعلى لا يخضع لأي تحفظ ولا يقبل المساومة عليه¹.

- بقدر ما يتصور الواقعيون أن العالم يعيش حالة من الفوضى بين الدول، فيعتبرون نتيجة لذلك أن الأمن هي مسألة أساسية. ولتحقيق ذلك تحاول الدول زيادة قوتها والانخراط في موازنة السلطة بهدف ردع المعتدين المحتملين. وشن الحروب لمنع الدول المتنافسة من أن تصبح أقوى عسكرياً².

3. مبادئ الواقعية السياسية: Principles of political realism

إن الركائز العقلانية والواقعية هي التي دعمت تصور مورغانثو للخروج بأفكار ومبادئ أكدت استقلال علم السياسة ومن بعده علم العلاقات الدولية عن باقي العلوم الاجتماعية الأخرى.

المبدأ الأول: المعايير النظرية والمنهجية للواقعية السياسية:

1. السياسة تحكمها مجموعة من القوانين مثل أي مجتمع وبالتالي وجوب العمل على فهمها من أجل تطويرها.
2. ضرورة التمييز بين الحقيقة والرأي: فالحقيقة هي كل ما هو صحيح موضوعياً وعقلانياً بخلاف الرأي الذي يستند إلى أفكار خيالية ورغبات إنسانية لا تعرف الحدود، ومن ثم لا يمكن الاسترشاد بها في صناعة القرارات السياسية أو الحكم عليها.
3. في عالم الواقع لا بد التأكد من نجاح أي سياسة خارجية، وذلك بمراجعة ما تم انجازه مقارنة بتلك الأهداف المرجوة باستخلاص النتائج المرئية لأعمال السياسة، مع السعي لمعرفة الواقع الذي جرت فيه العملية السياسية وإخضاع ذلك لكل تصور عقلي مفترض، كون السياسة يفكرون ويتصرفون في حدود المصلحة القومية لهم.

المبدأ الثاني: المصلحة جوهر علم السياسة والعلاقات الدولية:

كون أن المصلحة هي المفهوم الجوهرى للتصور الواقعي، وعليه وجب فهمها لأنها تشكل الموضوع الرئيسي الذي تدار من خلاله جميع التفاعلات في العلاقات السياسية الدولية³، بالإضافة إلى أنها تمكن الباحث من التمييز بين ما هو سياسي وما هو غير ذلك.

بل يذهب أنصار المدرسة الواقعية إلى أن المبادئ المعنوية أو الأخلاقية، بل وحتى القواعد القانونية الدولية، جميعاً يصعب تحقيقها أو تطبيقها على السلوك السياسي الخارجي للدولة فهي تسعى إلى تحقيق مصالحها⁴.

¹ - أ.د. إسماعيل صبري مقلد، المرجع السابق، ص 50.

² - W. Julian Korab-Karpowicz , Op.cit.p

³ - أ.د. عمار بن سلطان، المرجع السابق، ص 183

⁴ - أ.د. عبد القادر محمد فهمي، النظريات الجزئية والكلية في العلاقات الدولية، عمان، دار الشروق للنشر، 2010، ص 85.

وهذا ما يفيدنا لاستخلاص نظري الذي يمكننا من فهم السياسة الداخلية والخارجية للدول¹، ولهذا فالمصلحة هي التي تجعل السياسة الخارجية تظهر كحلقة متصلة وعقلانية ومفهومة ومتسقة مع نفسها.

وعليه كان تعريف ستيفن والت Stephen Walt للواقعية تفسيراً مبسطاً لما سبق ذكره إذ يقول أنها - الواقعية - : تصور الشؤون الدولية باعتبارها صراع من أجل النفوذ بين دولاً لا تعنيها سوى مصالحها، وهي متشائمة بشكل عام إزاء إمكانية إزالة الصراعات والحروب..²

المبدأ الثالث: المصلحة هي جوهر العملية السياسية: إذ ترى الواقعية السياسية أن:

1. المصلحة هي جوهر ولب جميع العمليات السياسية بمفهومها الثابت وليست متغيرة³ (الصراع من أجل البقاء) وهي محور العلاقات التعاونية والصراعية بين الأفراد والجماعات ومن ثم الدول.

وفي جانب تفسيري آخر تجدر الإشارة إلى أن النظرية المثالية - عكس التصور الواقعي - تتبنى تصورات قيمية تحد من التطلعات السياسية للمركب الصناعي العسكري نحو الخارج.

2. سيطرة المصالح المادية والمعنوية على تفكير وسلوك الأفراد، واستمرارها مرهون بوحدها وعدم وجود تناقض وتضارب ما بين تلك المصالح.

3. المصلحة عند مورغانو مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمفهوم القوة التي تنطوي على أي شكل من أشكال السيطرة الشاملة على كافة العلاقات الاجتماعية.

4. اجتمع مفكرو النظرية الواقعية وبدرجات متفاوتة على أن أفضل وصف للسياسة الدولية هي الغابة (jungle) التي تسودها حالة الحرب، فهؤلاء .. يعتقدون أن هناك دوماً احتمالية لوقوع حرب بين الدول المكونة للنظام الدولي. هذه الحالة من عدم الاستقرار في النظام الدولي والخوف من الحرب ترجع دائماً من الطبيعة الشريرة، أو خصائص الدولة، أو بنية النظام الدولي، أو إلى العوامل الثلاث مجتمعة⁴.

بديهية أخرى من التفكير الواقعي هو سعي الدول لتحقيق مشاريعهم في محاولة منها لزيادة قوتها؛ رغم الاستخدام الكثير لهذا المصطلح في أدبيات العلاقات الدولية. ومع ذلك فإنه لا يزال غير واضح المعالم، هل يشار فيه المعنى للدول التي لديها تأثير كبير على السياسة العالمية، بمعنى (القوى الكبرى)⁵. على العكس من المدرسة المثالية التي تجاهلت عنصر القوة وفعاليتها في رسم الأحداث تكون الدول هي المتحكمة والقائدة لهذا النظام.

¹ - أ.د. عمار بن سلطان، المرجع السابق، ص 183.

² - د. عامر مصباح، معجم مفاهيم "العلوم السياسية والعلوم الدولية"، الجزائر، دار شاوش، 2005، ص 162.

³ - أ.د. عمار بن سلطان، المرجع السابق، ص 184.

⁴ - د. علي بن الحسين القحطاني، النظرية الواقعية وتطورها في العلاقات الدولية، جامعة الإسكندرية، مجلة كلية التجارة للبحوث العلمية، العدد 02، المجلد 48، جويلية 2011، ص 312.

⁵ - Pierre de Senarclens , Yohan Ariffin, La Politique Internationale, Théories et Enjeux Contemporains, 6^e édition, Armand colin éditeur, 2010, p 22.

5. كما أن الواقعية السياسية تميز بين المصالح العليا للدولة والمصالح الثانوية لها، فالأولى ثابتة ودائمة وغير قابلة للمساومة أو التنازل وتأتي في أعلى درجة أولويات السياسة الخارجية، ولهذا وجب حمايتها؛ أما الثانية فهي غير ثابتة متغيرة وفق الظروف والحاجة قابلة للمساومة أو التنازل عنها إذا ما اقتضت المصالح العليا ذلك¹.

6. يشكل الهدف الأسمى للدول في ظل طبيعة هذا النظام هو الحفاظ على بقائها وحماية أمنها القومي، فتكون العلاقات بين هذه الدول مبني على ما تملكه من قوة.

فالقوة التي تعنيها تحليلات النظرية الواقعية، ليست مجرد القوة العسكرية أو وسائل الإكراه المادي بمعناها الضيق، ولكنها القوة القومية Natinal Power بمفهومها الشامل بمختلف عناصرها ومكوناتها المادية وغير المادية ومنها على سبيل المثال لا الحصر: السكان، الموارد الطبيعية، الموقع الاستراتيجي، مستوى التطور التكنولوجي، الجهاز الإنتاجي، نظام الحكم ومؤسساته، الزعامة السياسية والإيديولوجية، الدبلوماسية، الدعاية، الرأي العام، مستوى التسليح.. إلخ²

المبدأ الرابع: الفصل ما بين المبادئ الأخلاقية ومتطلبات العمل السياسية:

وذلك لارتباط الأخلاق السياسية لما حقق من نتائج وما أنجز فعلا، ولا يجب الخلط بين القيم الفردية وقيم الدولة، كي لا تتقيد الدولة بتلك المبادئ الأخلاقية؛ هذا المبدأ الذي أنشاء مبدأ آخر وهو الفصل بين السياسة والدين كون هذا التصور قائم على التمييز بين الحقيقة والعبادة إذ أن الربط بينهما من شأنه أن يحطم الأمم والحضارات³.

4. العوامل الموضوعية للمدرسة الواقعية⁴: Objective Factors of the Realism

- إجماعهم على الدور الفعال للقوة في العلاقات الدولية وضرورة التسليح بها.
- يجعلون من القوة وسيلة وليست غاية لتحقيق المصلحة الوطنية.
- ضرورة الفصل التام بين الأخلاق والسياسة.
- لجوء الدول إلى التكتلات والتحالفات، (أين عبرت عنها بمفهوم توازن القوى) عند فشلها للوصول لتحقيق المصلحة الوطنية.

¹ - أ.د. عمار بن سلطان، المرجع السابق، ص 185.

² - د. صبري مقلد، المرجع السابق، ص 49.

³ - أ.د. عمار بن سلطان، المرجع السابق، ص 186.

⁴ - Stéphane Paquin, Dany Deschênes, introduction aux relations internationales, théoriers, pratiques et enjeux, chenelière édition inc, 2009. p06.

المراجع

أولاً: باللغة العربية

الكتب:

1- د. إسماعيل صبري مقلد، نظريات السياسة الدولية، "دراسة تحليلية مقارنة"، ط01، الكويت، دار ذات السلاسل، 1987.

2- د. عامر مصباح، معجم مفاهيم العلوم السياسية والعلوم الدولية، الجزائر، دار شاوش، 2005.

3- أ.د عبد القادر محمد فهمي، النظريات الجزئية والكلية في العلاقات الدولية، عمان، دار الشروق للنشر، 2010.

4- - أ.د. عمار بن سلطان، مداخل نظرية لتحليل العلاقات الدولية، الجزائر، طاكسيج. كوم، 2009.

5- د. نصيف يوسف حتي، النظرية في العلاقات الدولية، بيروت، دار الكتاب العربي، 1985.

المجلات:

1. د. علي بن الحسين القحطاني، النظرية الواقعية وتطورها في العلاقات الدولية، جامعة الإسكندرية، مجلة كلية التجارة للبحوث العلمية، العدد 02، المجلد 48، جويلية 2011.

الرسائل:

1. خلف الله عمر، التحديات البيئية وفعالية الاستجابات السياسية في إفريقيا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية تخصص: دراسات افريقية، جامعة الجزائر3 كلية العلوم السياسية والإعلام قسم العلوم السياسية و العلاقات الدولية.

ثانياً: باللغة الأجنبية

1. Amélie blom et Frédéric Charillon, théories et concepts des relations internationales, hachette superior, 2001.

2. Pierre de Senarclens et Yohan Ariffin, La Politique Internationale, Théories et Enjeux Contemporains, 6^e édition, Armand colin éditeur, 2010.

3. Stéphane Paquin et Dany Deschénes, introduction aux relations internationales, théoriers, pratiques et enjeux, chenelière édition inc, 2009.

المواقع الإلكترونية:

¹- W. Julian Korab-Karpowicz , Political Realism in International Relations, *First published Mon Jul 26, 2010; substantive revision Tue Apr 2, 2013.*

<https://plato.stanford.edu/entries/realism-intl-relations/#ThuImpPow>, 2017/05/08 8:50